رحلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى الطائف الأسباب والنتائج

The journey of the prophet (may God bless him and grant him peace) to Taif : causes and results

م. د. رياض كريم عباس فضل

D. Readh Karem Abbas Fadhel

وزارة التربية/ تربية بغداد الكرخ /١

معهد الفنون الجميلة الصباحي

Ministry of Education / Baghdad Education Karkh / 1

Institute of Fine Arts

readh12345@gmail.com

الملخص:

تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على فترة مهمة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث كانت هذه الرحلة إلى الطائف منعطفاً عظيماً في مسيرة الدعوة الإسلامية في مرحلتها المكية عندما آمن أهل يثرب من الأوس والخزرج بمبادئ الإسلام ولأجل ذلك خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لدعوة أهلها ولإيجاد منفذ لدعوة الإسلام بعدما حاصرها كفار قريش وشددوا الأذى عليه ، ويحاول الباحث في هذه الدراسة التأكيد على أن رحلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لم تكن عفوية، أو ارتجالية، ولم يحسب نتائجها ، أي حساب ،

بل حاولت الدراسة تأكيد على أن هذه الرحلة جاءت تلبية لحاجات الدعوة الإسلامية ومسيرتها الجهادية ضد ركائز الشرك والوثنية أينما حل وأينما كانوا.

الكلمات المفتاحية : الرسول ، قريش ، الكفار ، الطائف ، يثرب

Abstract

This study comes to shed light on an important idea from the life of the prophet (may God bless him and grant him peace), as the trip to Taif was a great turning point in the path of the Islamic call in its Meccan phase towards success when the people of Yathrib from Aws and Khazraj believed in Islam and for that reason the prophet (may God bless him and grant him peace) left.) to Taif to invite its people and to find a reason for the call to Islam after the infidels of Quraish besieged it and severely harmed it. In this study, the researcher tried to confirm that the prophet's (may God bless him and grant him peace) trip to Taif was not spontaneous or improvised, and no calculation was made of its results. Rather, the study tried to confirm that This trip came to meet the needs of the Islamic call and its jihadist journey against the pillars of polytheism and paganism wherever and wherever they may be.

Keywords: Prophet, Quraysh, infidels, Taif, Yathrib

المشكلة:

تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على فترة مهمة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث كانت الرحلة إلى الطائف منعطفا عظيما في مسيرة الدعوة الإسلامية في مرحلتها المكية نحو النجاح عندما آمن أهل يثرب من الأوس والخزرج بالإسلام ولأجل ذلك خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لدعوة أهلها ولإيجاد منذ لدعوة الإسلام بعدما حاصرها كفار قريش وشددوا الأذى عليه ، والباحث حاول في هذه الدراسة التأكيد على أن رحلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لم تكن عفوية أو ارتجالية ولم يحسب نتائجها أي حساب بل حاولت الدراسة تأكيد على أن هذه الرحلة جاءت تلبية لحاجات الدعوة الإسلامية ومسيرتها الجهادية ضد ركائز الشرك والوثنية أينما حل وأينما كانوا.

اهمية الدراسة :

١. يساعد هذا البحث في فهم عمق رسالة الإسلام والتحديات التي واجهها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في نشر الدعوة الإسلامية. يسلط الضوء على التحولات الاستراتيجية التي اتخذها الرسول لنشر الإسلام بين قبائل العرب.
٢. يعرض البحث تحليلًا للتكتيكات الدعوية التي اعتمدها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ويبين كيف استخدم الحوار والتواصل مع مختلف القبائل والمجتمعات لنشر رسالته.
٣. يوفر البحث فهمًا أعمق للسياق التاريخي للدعوة الإسلامية في مكة، وكيف تعامل الرسول مع التحديات السياسية والاجتماعية والثقافية التي واجهته.
٤. يسلط البحث الضوء على دور مدينة الطائف كمحطة استراتيجية في مسيرة الدعوة الإسلامية، وكيف أن الرسول استخدمها كجزء من استراتيجيته لنشر الإسلام.
٥. يعكس البحث التأكيد على الحكمة والتدبر في أفعال الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكيف أن كل حركة كانت مدروسة ومستندة إلى استراتيجية محكمة.

<u>أهداف البحث :</u>

١. استهداف فهم الدوافع والأسباب التي دفعت الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى اختيار مدينة الطائف كمحطة لنشر الدعوة الإسلامية، وذلك على الرغم من تمسك سكانها بعقيدة الشرك والوثنية.
٢. فهم كيفية تضمين رحلة الرسول إلى الطائف ضمن استراتيجيته العامة لنشر الإسلام، وكيف أن هذه الرحلة لم تكن ارتجالية بل كانت مدروسة ومنظمة.
٣. توضيح كيف أن قرار الرسول بالتوجه إلى الطائف ليس مجرد قرار فردي، بل كان مدروسًا ومستندًا إلى حكمة وتوجيهات دعوية.
٤. توضيح الصعوبات التي واجهها الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثناء رحلته إلى الطائف، وكيف تعامل معها واستجاب لها.
٥. يهدف البحث إلى تقديم تفسير شامل ومنطقي للأحداث التاريخية المرتبطة برحلة الرسول إلى الطائف، مما يسهم في فهم أعمق لهذه الفترة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

تمهيد :

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على مسألة مهمة في تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة أهل المكية وهي البحث في الأسباب التي دفعت الرسول إلى اختيار مدينة الطائف لنشر الدعوة رغم علمه بأنها أشد تمسكا بعقيدة الشرق من قريش لم يقف مؤرخون القدامى عند هذا الموضوع ولم يبحثوا فيه ولا علقوا عليه رغم أهميته وكل ما وصل إلينا بصدد الموضوع ، ولمعه لك أبو طالب نالت قريش من الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الأذى ما لم تكن منه في حياة عمه أبي طالب فخرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنع بهم من قومه ورجاء لن يقبلوا منه ما جاء إلي من الله ﷻ فخرج إليهم وحدة (ابن هشام، د.ت، صفحة ٢٨) . تنبثق من دراسة دقيقة لهذا النص استنتاج بأن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لم تكن نتيجة ارتجالية أو عفوية، بل كانت قراراً مدروساً بعناية فائقة، حيث لم تغفل عنه العلاقة الوثيقة بين قريش، التي كانت زعيمة الوثنية في جزيرة العرب، وثقيف، راعية المركز الثاني لها في الجزيرة، على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومع عدم توفر تفاصيل دقيقة حول هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف، باستثناء إقامته هناك لمدة عشرة أيام بصحبة مولاه زيد بن حارثة، يظهر بوضوح أن القرار كان متعقلاً ومدروساً بدرجة كبيرة، بما يعكس استراتيجية دعوية محكمة ووعياً بالتحديات والتوجهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة في ذلك الوقت (ابن القيم الجوزية، ١٩٢٨، الصفحات ٤٦ – ٤٧)

، وإنه التقى برابطة من الأحلاف من ثقيف (ابن هشام، د.ت، صفحة ٢٨) ، ولما عرض عليهم الذي جاء من أجله وهو نصرة الإسلام والقيام معه عن من خالفه من قومه (ابن هشام، د.ت، الصفحات ٢٨ – ٢٩) ، شغل لم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس (ابن هشام، د.ت، صفحة ٢٨) وتختم هذه الرواية حديثها عن التجربة العظيمة بقولها : ثم إن الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قفل راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف" (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣١) .

هكذا انتهت هذه الهجرة التي كانت وبلا شك منعطفا عظيما في مسيرة الدعوة الإسلامية في مرحلتها المكية نحو النجاح عندما آمن أهل يثرب بالإسلام (الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ١٩٩١، الصفحات ١٦٦ – ١٦٧) ، كما لم يقتصر إغفال هذا الموضوع على المؤرخين القدامى فحسب ، بل كان للمعاصرين منهم الموقف نفسه أيضا وقد ذهبوا إلى ما ذهب إليه أسلافهم فهذا أحدهم يقول لا توجد نفور صريح على الدوافع التي دفعت الرسول (صلى

الله عليه وسلم) لاختيار الطائف (وهي ثاني مدينة مهمة في الحجاز ، وكانت تسمى (وج) نسبة إلى أحد رؤسائها العمالقة وصودياها وتقع في مرتفع من الأرض على بعد ١٠٠كم تقريباً (١٢) فرسخاً إلى الجانب الشرقي من مكة . ينظر) (ياقوت الحموي، ١٩٩٩، صفحة ج٩ /٤) من دون غيرها لنشر دعوته بعد ما لاقاه من عقبات ومصاعب في مكة (العلي، ١٩٨١، صفحة ٣٧٧) ، في هذه الهجرة التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، تطرح العديد من التساؤلات العميقة، منها ما هي الحكمة الربانية التي دفعته للخروج إلى الطائف على الرغم من علمه بتمسك سكانها بعقيدة الشرك الوثنية؟ وهل يمكن بناء دولة الإسلام في مثل هذه البيئة؟ ولماذا اختار الرسول (صلى الله عليه وسلم) أبناء عمرو بن عمير، الذين كانوا حلفاءً لقريش؟ كما يثير الاستفهام عن ماذا كان سيحدث لأوضاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا لم تكن هذه الهجرة ناجحة مع أهل الطائف ؟

ونظرًا لعدم وجود دراسة نقدية أو تحليلية علمية أو منطقية لموضوع البحث، ينبغي لنا الاعتماد على التحليل العلمي الموضوعي، حيث نستعرض الأحداث بشكل دقيق ومنطقي، ونقدم استنتاجات موضوعية وصحيحة. سنسلط الضوء على الأسباب التي دفعت الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتنفيذ هجرته إلى الطائف، ونعرض النتائج التي نتجت عن تلك الهجرة الفريدة في مسيرة الدعوة الإسلامية.

نسعى لأن نكون موفقين إن شاء الله في تأكيد أن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لم تكن عفوية أو ارتجالية، ولم يغفل الرسول عن تقدير نتائجها، بل جاءت تلبية لحاجات الدعوة ومسيرته الجهادية ضد ركائز الشرك والطغيان أينما حلوا.

المقدمة:

منذ الصغر وحتى كلفه الله إياه بنشر الدعوة في مكة، اكتسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) معارف واسعة عن العرب وعلومهم، وتعرّف على أحوالهم وأنسابهم، ودرس عاداتهم وتقاليدهم بصفة خاصة قبيلة قريش. كانت الظروف التي عاشها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، مثل فقدان الأبوين والعمل في سنوات مبكرة من حياته، ومرافقته لجده إلى دار الندوة في مكة (هي مقر التنظيم وإدارة شؤون مدينة مكة المكرمة يجتمع بها حكماء مكة من قبائل قريش وخزاعة للتشاور وإبداء الرأي فيما بينهم وتقع في بطن مكة من الجهة الغربية من الكعبة . ينظر) (ياقوت الحموي، ١٩٩٩، صفحة ج٢ / ٤٢٣) التي كانت تمثل مؤسسة حكومية لقريش – تجعله متمرسًا في التعامل مع الشؤون السياسية والعلاقات الخارجية. سافر مع عمه أبو طالب (هو عبد مناف بن عبد شمس المطلب أخو عبدالله أبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، كان كريماً فقيراً كثير الأولاد ، وقام أبو طالب

بكفالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) احسن قيام بعد وفاة جده وهو في الثامنة من عمره . ينظر (الزركلي، ٢٠٠٢، صفحة ج٨/ ٢٦) في رحلات تجارية خارج مكة، وعانق الانعزال في غار حراء هو الغار الذي كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يتحنث فيه قبل النبوة ، وهو جبل حراء المكان الذي آوى إليه هو وأبو بكر (E) في جبل نور في مكة . ينظر (ياقوت الحموي، ١٩٩٩، صفحة ج٤/ ١٨٢) ، ما منحه قدرة استثنائية على التعامل مع مختلف الأوضاع التي قد تواجه الدعوة ومسيرتها، مما يخدمها ويحول دون فشلها. تظهر هذه التجارب الحياتية كيف كان اختيار الله وتأهيله لرسالته ليس صدفة بل كانت نتيجة عناية ربانية دقيقة.

قال تعالى: ﴿ن والقلم﴾ (القلم، الآية ٤) ، ﴿والطور﴾ (الطور، الآية ٤٨) .

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما اتخذ من دار الأرقم مقرا لدعوته دار الأرقم (تقع دار الأرقم على سفح جبل الصفا من الجهة الجنوبية الشرقية من مكة ، وتبعد عنها مسافة ١٣٠متر ، كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يجتمع فيها مع أوائل المسلمين في مكة أثناء الدعوة السرية يعلمهم أُسس الإسلام والقرآن . ينظر (حمو، صفحة ٧١) ، ومنع أتبعه من الرد على تعدي المشركين من كفار قريش وغيرهم، وتعامله مع الرجال الملأ من قريش بحكمة وبأخلاق عالية ورد على عنادهم وكفرهم بالموعظة الحسنة يدل على أنه كان عارفا بأحوال المشركين وطبائعهم وتصرفاتهم تجاه من يعارض عقيدتهم الوثنية (النعيمي، ١٩٩٦، صفحة ١١٥) ، مما يوحي بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يكن فقط نبيا ولا رسولا مؤيدا من الله تعالى بل قائد أمة يسعى لسمو بها نحو الهدى والمجد، فرسول (صلى الله عليه وسلم) كان بالأمور المتعلقة بالدعوة تشريعاتها يتبع التوجيهات التي يوحى إليه ربه من السماء عن طريق الوحي (جبريل A). وفيما يتعلق بالأمور الدنيوية والسياسية التي تخص الدعوة كان عليه الصلاة والسلام يجتهد معتمدا على خبراته التي اكتسبها خلال حياته قبل البعث وبعدها في تدبير الدعوة بما لا يتعارض ومنهج الشارع.

يؤيد ذلك المواقف العديدة التي تشهد على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان لا يخطو أي خطوة قبل دراستها والتحقق من نتائجها عندما هم بإرسال المستضعفين من المؤمنين الأوائل بعد أن فتنهم مشركو قريش ومضطهدوهم إلى الحبشة. لم يرسل إليهم إلا بعد أن ضمن حماية النجاشي ملك الحبشة لهم (اسمه أصحمة ملك الحبشة معدود في الصحابة (Φ) ممن أحسن إسلامه توفي في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ينظر (الذهبي ، ١٩٨٥، صفحة ج١/ ٤٢٩) وكذلك لم يأذن لأحد من المسلمين بالهجرة إلى المدينة إلا بعد أن آمنا على سلامتهم من قبل المبايعين له حماية لأتباعه في المدينة عند العقبة الثانية.

ومن المؤكد إن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لم تكن بسبب وفاة عمه أبي طالب ولا بسبب وفاة زوجته خديجة ولا بسبب مشي عمه أبي لهب (هو عبد العزي بن عبد المطلب بن هاشم القريشي المعروف بأبي لهب وهو عم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وكنيته أبو عتبة ، مات سنة ٦٢٤هـ ، ينظر (الذهبي ، ١٩٨٥، صفحة ج٦ / ١٠٥) الذي ما لبث بعد أن تسلم زعامة العشيرة رغم تأكيد الجميع مصادر التاريخية على ذلك بل نرى أن قرار الهجرة إلى الطائف كان قد اتخذ من قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قبل ولم يبق سوى التنفيذ وجاءت تلك الأحداث التسرع في الهجرة ولم تكن سببا رئيسيا لها.

أن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف جاءت لتنفيذا لأمر قاضي بالخروج بالدعوة من مكة لأن مكة لم تعد تصلح للدعوة في تلك الأثناء ولأسباب كان يرى فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) عوامل مساعدة لنجاح دعوته في الطائف.

الأسباب الموجبة للهجرة:

أدرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن نجاح دعوته يتوقف على تحقيق ثلاث دوائر متداخلة، والتي تتسع صوب الخارج لتشمل مزيدًا من الناس. في الدائرة الأولى، كانت دائرة الإيمان بعقيدة التوحيد، وقد تحققت هذه الدائرة في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، حيث سعى الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بناء الشخص المؤمن النموذج. وفي الدائرة الثانية، تحققت دائرة الدولة والحكم، حيث بذل الجهود في بناء البنية الحضارية (عماد الدين، ١٩٩٧، الصفحات ١٠٦ – ١٠٧) ، نظرًا لأن قريش كانت تضم رجالًا يشكلون عوائق سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية تعيق تقدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه نحو تحقيق الدائرة الثانية – أي إنشاء الدولة – فقد تم توجيه النظر نحو ضرورة تحقيق هذه الدائرة. لأن بقاء الدائرة الأولى دون تحقيق الثانية يعني أن تظل الأولى ضعيفة ومعرضة للخطر دون حماية، مما يجعل من الصعب على الأفراد أو الجماعات داخل هذه الدائرة تنفيذ مهامهم بشكل فعال. بناءً على ذلك، قرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحثًا عن أرضية جديدة خارج مكة لإقامة الدائرة الثانية عليها، وذلك لتفادي تدمير دعوته وأنصاره من قبل القوى الظالمة المشركة. وبناءً على هذا القرار، تم التخطيط للهجرة إلى خارج مكة وتنفيذها تحت وطأة الظروف الصعبة التي كان يواجهها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث استكشف جميع مدن الحجاز بمكة ونظر في إمكانية تأسيس دولته في أحد هذه المدن.

أن من مميزات الدعوة الإسلامية هي التدرج في الدعوة حيث الإنذار المسبق للناس وأصل الإنذار في اللغة العربية يعني التخويف والإبلاغ، ويقال أنذرته إنذارا إذا أعلمته فأنا منظرونا نذير أي معلم و مخوف ومحذر (الزبيدي،

١٩٦٦، الصفحات ج٣ / ٥٦١ – ٥٦٣) . النذر جمع نذير والمنذر بمعنى فعيل أي المعل او المبلغ (ابن منظور ، ١٩٥٦، الصفحات ٦٠٣ – ٦١٥) . او هو الاعلام ، كما قال تعالى : ﴿ نج نح نخ نم نى ني هج هم﴾ (سورة الاحزاب، الآية : ٤٥) .

فكان لابد للرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ الوهلة الأولى لنزول الوحي للدعوة الى التوحيد لله تعالى وخلع الشرك والأوثان ، والتحرك ضمن المفهوم الإلهي والمقرر لمسيرتها التي جاءت متدرجة أيضاً بموجب التنزيل الإلهي من خلال القرآن الكريم ، فكانت الدعوة في مراحلها الأولى مقررة على آل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعشيرته ﴿ بي تر تز تم﴾ (الشعراء، الآية : ٢١٤) .

يحدثنا ابن إسحاق(لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عرفت اني ان بدأت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت عليها فجاءني جبريل فقال : يا محمد انك أن تفعل ما آمرك ربك تعالى عذبك ، قال : علي : قد دعاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا علي ان الله قد أمرني ان انذر عشيرتي الأقربين (اسحاق، ١٩٩٧، الصفحات ١٤٥ – ١٤٧) . ويضيف ابن كثير بقوله " فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قريشاً فعم وخص فقال : " يا معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب انقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاش انقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار ، فأني والله لا أملك لكم من الله شيئاً الا ان لكم رحماً سابلها ببلالها (ابن كثير، د.ت، الصفحات ١٥٧ – ١٥٨) . ولما رفضت قريش دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) جاء الخطاب القرآني بعد ذلك ليتدرج في الدعوة فجاء قوله تعالى : ﴿ تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز﴾ (الانعام، الآية : ٩٢) . ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى ان المقصود بأم القرى ومن حولها يعني اولًا مكة ثم جميع احياء العرب وسائر طوائف بني آدم من عرب وعجم ، أي هي دعوة للناس كافة (ابن كثير، د.ت، صفحة ١٥٨) .

فعليه يمكن اعتبار هذه الآية الركيزة الأساسية التي قامت عليها الدعوة في مكة خصوصاً قريش ثم لخارجها حيث يقول النيسابوري في تفسير الآية السابقة : " انزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب مصدقاً لما قبله من الكتب ولتنذر به عذاب الله وبأسه في أم القرى وهي مكة ومن حولها شرقاً وغرباً من أصناف الكفار (النيسابوري، ١٩٣٧، الصفحات ١٩١ – ١٩٢) . فأصبح من المؤكد ان الدعوة قد جاءت الى قريش خاصة والى الناس كافة عامة (ابن كثير، د.ت، الصفحات ١٥٨ – ١٥٩) . وهكذا نجد ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ أول ما بدأ في أهله ثم عشيرته ثم قبيلته ثم أهل مكة قاطبة ، ولما لم يجد لدعوته قبولا لا في عشيرته ولا في قريش الا قليلاً

وحالت موجة الكفر بقيادة رجال الملأ دون تحقيق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مسعاه في إقامة دولة الإسلام على ارض مكة نهائياً .

لذا كان لابد للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) البحث عن أماكن جديدة خارج مكة لنشر دعوته تنفيذاً لأمر الله تعالى أآ ثي فى فى قى قيكا نز ً فاخذ يعرض نفسه على زعماء القبائل العربية الوافدين الى مكة لغرض الحج او العمرة ، يحدثنا ابن هشام عن عدة لقاءات حققها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع بعض من زعماء القبائل العربية (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣٨٤) .

إن رجال الملأ من قريش ادركوا النهج الجديد للدعوة الذي أخذ يمارسه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدى خطورته على المصالح الاقتصادية والسياسية والدينية ، مع عموم القبائل لذا سعى رجال الملأ من قريش الى محاصرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنعه من تحقيق أي لقاء من أي من زعماء القبائل العربية الوافدين الى مكة بأي أسلوب كان.

يحدثنا ابن إسحاق عن در رجال الملأ في تنفيذ اساليبهم تلك بقوله:"وكان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم الى النجاة مما هم فيه ، وجعلت قريش حين منعه الله منهم ما يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣٨٢) . على الرغم من تلك المحاولات التي قام بها رجال الملأ تمكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من تحقيق عدة لقاءات مع بعض من زعماء القبائل العربية . ويضيف ابن إسحاق: " وكان الطفيل بن عمرو الدوسي (صحابي جليل من أوائل السابقين الى الإسلام أسلم قبل الهجرة النبوية بمكة في السنة السابعة من البعثة النبوية (٦١٧هـ) ، ثم لحق بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة بعد معركة احد استشهد في حروب الردة بمعركة اليمامة . ينظر (الذهبي ، ١٩٨٥، صفحة ج١/ ٣٤٤) . يحدث انه قدم بمكة ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بها فمشى اليه رجال من قريش . وكان الطفيل رجلاً شريفاً وشاعراً لبيبا ، فقالوا له : يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا قد اعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وان قوله كالسحر يفرق بين الرجل بين ابيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وزوجته ، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣٨٣) .

وعلى الرغم من محاولات رجال الملأ من قريش لمنع اللقاء بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنه حاول ان يلتقي بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فينقل لنا ابن إسحاق ما ذكره الطفيل عن محاولته اللقاء بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : " فمكثت حتى انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيته

فأتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت إذني بكر سف لئلا أسمع قولك. ثم أبى الله ألا ان يسمعني قولك ، فسمعته قولاً حسناً فأعرض لي امرك. قال : فعرض عليَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإسلام وتلا عليَّ القرآن . فلا الله ما سمعت قولاً قد احسن منه ولا أمراً اعدل منه . قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق . وقلت : يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وانا راجع اليهم وداعيهم الى الإسلام، فادع الله ان يجعل لي آية تكون لي عوناً فيما ادعوهم اليه فقال اللهم اجعل له آية (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣٨٣) وعندما وصل الطفيل الى أهله ودعاهم الى الإسلام رفضوا بشدة مقالته. وقال عن تجربته معهم " ثم دعوت دروساً إلى الإسلام فأبطوا علي" (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣٨٤) .

يبدوا ان احجام الدروس عن الدخول في الإسلام جاء بتأثير العلاقات بينها وبين قريش وخشية قومهم من ان تتضرر مصالحهم امتنعوا عن الدخول في الإسلام في هذه المرحلة على الأقل.

وتستمر محاولات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في عرض دعوته على المزيد من زعماء القبائل العربية على الرغم من محاولات رجال الملأ من قريش افشال أي محاولة لأي لقاء يحصل بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أي من زعماء القبائل العربية او المتنفذين فيها . للحيلولة دون نجاح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في استقطاب لأي زعيم عربي من خارج مكة ، لأن أي نجاح يحققه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعني حصول موطئ قدم له ولاتباعه خارج مكة وهذا ما كانت قريش تخشاه اشد الخشية . يحدثنا ابن إسحاق عن دور رجال الملأ في محاصرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإفشال كافة مساعيه بقوله : " ان اعشى بن قيس بن ثعلبه .. خرج الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد الإسلام .. فلما كان بمكة.. اعترضه احد المشركين من قريش فسأله عن أمره فاخبره انه جاء يريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فقال: يا أبا بصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك لأمر مالي فيه مأرب فقال له : يا أبا بصير فأنه يحرم الهمر فقال الاعشى : أما هذه فوالله ان في النفس منها لعلعلات ولكني منصرف فأرتوي منها عامي هذا . ثم آتيه فأسلم ، فانصرف فمات في عامه ذلك (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣٨٨) .

من خلال هذه الممارسات لرجال الملأ في مكة أصبح لدى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يقين بأن قريش لن تسمح له ابداً من الخروج من مكة والبحث عن مكان جديد آمن ينشر فيه دعوت فاستعرض الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كل القبائل والحواضر الموجودة في الجزيرة العربية ومن المعلوم ان الخطاب القرآني أأ ثي فى في قى قيكا نزّ لم يحدد للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) المنطقة أو القبيلة التي يتوجب عليه الذهاب

إليها، إلا انه كان خطاباً إلزامياً له بضرورة الخروج من مكة وعدم البقاء فيها فاختار مدينة الطائف (ابن كثير، د.ت، صفحة ١٥٨) .

فالسؤال الذي يتبادر الى الذهن طالما ان الخطاب القرآني لم يحدد المكان ولا القبيلة التي يتوجب على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الخروج إليها لنشر دعوته فيها ، فلماذا وقع اختياره على الطائف ، علماً بأنه تمثل المركز الثاني للوثنية في الجزيرة العربية .

ان اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للطائف جاء على ما يبدو مدفوعاً بعدة عوامل جغرافية واقتصادية وسياسية وعقائدية التي كان يراها مناسبة لعرض دعوته فيها مما جعله يتوجه اليها دون غيرها .

ومن هذه العوامل وأهمها العامل الجغرافي : حيث تقع مدينة الطائف على بعد خمسة وسبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من مكة على ظهر جبل غزوان (هو الجبل الذي على ظهر مدينة الطائف . ينظر (ياقوت الحموي، ١٩٩٩، صفحة ج٤/ ٩) من جبال السراة هو الجبل الذي فيه طرف الطائف إلى بلاد أرمينيا . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٢٠٤/٣ . وترتفع عن المستوى سطح البحر نحو ستة الاف قدم. فهي مدينة معروفة بالنسبة لأهل مكة وقريبة منها ويسهل السفر اليها حتى سيراً على الاقدام والعودة منها ، فلقربها من مكة وتشابه الحياة فيها مع مكة وكونها مدينة محصنة جعلها مرشحة من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للسفر إليها ، ونشر دعوته فيها (صقر، ١٩٨١، صفحة ١٩) .

والعامل الثاني الذي جعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يرشح الطائف مكاناً لنشر دعوته ، هو مكانتها الاقتصادية الهامة في الجزيرة العربية ، حيث انها تقع على طريق القوافل التجارية القادمة من اليمن (سميت اليمن لتيامنهم إليها وقيل هي أيمن الأرض ، وقيل تيامن الناس فيها ، فسمو اليمن حدودها بين عمان الى نجران ثم يلتوي على بحر العرب الى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عمان . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٣١٤/٣ الى الشام اصل الكلمة ترجع الى سام بن نوح ، وهي المنطقة الممتدة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وتمتد شرقاً الى نهر الفرات وشمالاً الى بلاد الروم ثم الى حدود مصر وجزيرة العرب جنوباً ، ويقول ياقوت الحموي حدودها من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : نظر (ياقوت الحموي، ١٩٩٩، صفحة ٣١٤) ، وقد أكسبها هذا الموقع أهمية كبيرة بالنسبة لأهل مكة، حيث ان أي توتر في العلاقات مع أهل الطائف قد يسبب مشاكل لتجارة مكة ويعيق مرورها بسهولة فوجود قوى تتضارب مصالحها مع أهل مكة تمثل خطراً على تجارة مكة القائمة أساساً على تجارة القوافل ، ما ان منطقة الطائف تميزت عن غيرها من حواضر الحجاز بتوافر عدة عوامل طبيعية ساعدت على قيام حياة زراعية فيها اعتدال

المناخ ووجود تربة صالحة وتوفر المياه وايدي عاملة ، وقد أشارت المصادر التاريخية الى ان مناخ الطائف كان ملائما لزراعة الفواكه وخاصة الكروم . فكانت الطائف تجهز مكة بالعنب والفواكه وغيرها من المواد الغذائية (الحميدي، ١٩٧٥، الصفحات ٣٧٩ – ٣٨١) . كما اشتهرت الطائف بتنوع الثروة الحيوانية فيها وبكثرة عددها لاسيما الابل والاغنام وكانوا قد حققوا من خلال المتاجرة بها او بألبانها وأصوافها ولحومها وجلودها ارباحاً طائلة (الملاح، الوسيط في تاريخ العرب، ١٩٩٤، صفحة ٣١٦) ، الحياة الاقتصادية في الطائف لم تقتصر على الزراعة والصناعة بل امتدت لتشمل التجارة بصورها المتعددة ، ذلك لأنها نشاط ضروري لتصريف فائض الإنتاج واستثمار مردوده لتطوير الحياة الاقتصادية فيها .

ومع ذلك فان أهل الطائف لم يمارسوا التجارة الخارجية وقيادة القوافل التجارية الى الشام او اليمن كما فعل تجار مكة من قريش على الرغم من ثرائهم الكبير حتى فاق أحياناً تجار مكة وأغنيائها (العلي، ١٩٨١، صفحة ٣٧٧) . ﴿ بج بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح﴾ (الزخرف، الآية : ٣١) .

لقد ادرك رجال الملأ من قريش مدى خطورة موقع الطائف على مصالحهم الاقتصادية والسياسية والدينية ، لذا عمدوا الى فرض نوع من العلاقات التي تربط أهل مكة بهم ، فعمدوا الى استثمار أموالهم في الطائف فلقد ذكرت المصادر التاريخية انه كان لأهل مكة ملكيات واستثمارات في مدينة الطائف وريفها كما وانهم لعبوا دوراً اساسياً للحيلولة دون قيام أهل الطائف بممارسة أي نشاط تجاري خارج حدود مدينتهم سواء بشكل مباشر او غير مباشر ، ولبيان دورهم في ذلك نذكر ما قدمته المصادر التاريخية عندما قام عروة الرحال (هو عتبة بن جعفر بن كلاب والد كبشة الجدة الثانية لأم النبي (صلى الله عليه وسلم) كان وافداً على الملوك ، ومن هنا يسمى الرحال ، وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كانت يبعث بها كل عام الى سوق عكاظ قتله البراض بن قيس الكناني. سيد قبيلة هوازن قبيلة عربية قيسية عدنانية جاهلية أحد اهم قبائل العرب واحد جماجمها تمتد من منازل هوازن من بلاد نجد الى الطائف بالحجاز . ينظر (علي، ٢٠٠١م ، صفحة ج٧/ ٣٣٤) بإجارة قافلة تجارية للنعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي الملقب بأبي قابوس ٥٥٢–٦٠٩هـ ولد في الحيرة في العراق ، كان مسيحياً نسطورياً تسلم مقاليد الحكم بعد أبيه وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام . ينظر : الذهبي شمس الدين ، محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) ؛ سير أعلام النبلاء ، تحقيق : حسين أسد : ٤٣/٨ كان يرسلها كل عام الى سوق عكاظ أهم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع في عكاظ في كل عام يتفاخرون ويحضرون شعراؤهم ، وعكاظ نَخَلَ في وادٍ بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليالٍ . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ١٤٢/٤. أغاض هذا العمل البراضي بن رافع الكناني البراض بن قيس بن رافع الكناني بن قيس بن حمزة الضمري معلول من أهل الحجاز فاتك جاهلي يضرب بفتكه المثل تبرأ منه قومه ففارقهم مع الصعاليك .

ينظر (ابن حزم، ١٩٩٤، صفحة ١٨٥) حليف قريش ولأنه كان قد سبق له طلب اجارة هذه القافلة . فعدا على عروة الرحال فقتله واستولى على القافلة وساقها الى مكة . فلما علمت هوازن الخبر هاجت وسارعت الى حلفائها واشتبكت بقتال مع كنانة وحليفتها قريش. وقد كانت أيام هذه الحروب خمسة وقعت على مدى اربع سنوات وعرفت بحرب الفجار (العبيدي، ١٩٨٣، الصفحات ٨١ – ٨٣) .

لقد نجحت سياسة قريش في منع تكرار أي محاولة للقيام بقيادة القوافل التجارية داخل جزيرة العرب سواء من أهل الطائف او من غيرهم، ولكي تضمن تحالفاتها مع جميع أبناء القبائل العربية عمدت على ضمهم جميعاً كمساهمين في قوافلها التجارية من خلال نظام الايلاف (ابن حبيب، ١٩٦٤، الصفحات ٣١ – ٣٣) . الذي نجح هاشم (وهو بن عبد مناف بن فضي القرشي الكناني وهو الجد الثاني محمد (صلى الله عليه وسلم)وجد أبو طالب وقثم والعباس واسد وإليه نسب لها تمينون وهو أول من سن الرحلتين رحلة الشتاء والصيف . ينظر (الزركلي، ٢٠٠٢، صفحة ج٦ / ٦٦) في تحقيقه وبضمنهم زعماء ثقيف ، وهكذ تمكنت قريش من الانفراد بقيادة القوافل التجارية وحرمان ثقيف منها غير ان احتكار رجال الملأ في مكة لهذه التجارة ظل هاجساً يؤثر في طبيعة العلاقة بين مكة وبين الطائف .

ولكي يحكم رجال الملأ في مكة سيطرتهم على اقتصاد الطائف قدر المستطاع وربطه مع عجلة اقتصادهم ، اخذوا ينشؤون المزارع الواسعة لهم في الطائف ويقومون على رعايتها واستخدام اهل الطائف فيها كمزارعين وللتدليل على مدى تغلغل اهل مكة في الحياة الزراعية لمدينة الطائف نورد ما ذكرته المصادر التاريخية :" انه حدث خلافاً ما بين أصحاب المزارع من قريش مع العاملين فيها من ثقيف حول حصتهم من الربع مقابل الماء اليها فطلبوا من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يضمن حقوقهم في الكتاب الذي كتبه عند دخولهم الإسلام (البلاذري، د.ت، الصفحات ٦٥ – ٦٧) ،" فكان من ما جاء فيه وما سقت ثقيف من اعناب قريش فان شطرها لمن سقاها" (ابن سلام، ١٩٩١، صفحة ١٣٥٣) .

ان ما تقدم يدل على انه كانت لأهل مكة ملكيات زراعية واسعة واستثمارات مالية كبيرة في الطائف منها استثمار رؤوس أموالهم فيها بالربا، فلقد كانوا يقرضون تجارتهم بفوائد كبيرة وهذا الوليد بن المغيرة يقوله لأبنائه قبل موته" ورباء من ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه" . وقد نجحت سياسة رجال الملأ في السيطرة على الأوضاع الاقتصادية لثقيف، وانه كان لابد ان تنشأ عن تأثيرات اقتصادية وسياسية واجتماعية على حياة الناس واوضاعهم في الطائف ضد قريش وزعمائها البارزين ، ان هذه الأوضاع لم تكن خافية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في مكة . وهي العلاقة غير متكافئة بكل الأحوال ، وهي ليست لصالح ثقيف ابداً فكانت الكفة الرابحة دائماً لصالح

رجال الملأ من قريش ، فاذا ما حاول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يهاجر الى الطائف ويعرض نفسه ودعوته على أهلها ويتمكن من تحرير اقتصادهم وسياستهم من قيود أهل مكة بدخولهم الإسلام والسماح له بإقامة دولته على أراضيهم . فكانت الهجرة الى الطائف دون غيرها (ابن قتيبة، ١٩٦٩، الصفحات ٩١ – ٩٢) . ومن العوامل الأخرى التي نراها دافعة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اختيار الطائف هي طبيعة العلاقة الاجتماعية التي تميزت بها الطائف دون غيرها. فمن المعلوم لدينا ان طبيعة العلاقات التي توحد بين القبائل العربية قديماً وحديثاً هي التضامن بين افراد القبيلة الواحدة في مواجهة القبائل الأخرى ، خصوصاً عندما تتهدد مصالحها وتنشب بينها الحروب. اما حينما يسود السلام ويزول الخطر فان التنافس والصراع على المصالح الى قتال وانقسام فتصبح القبيلة الواحدة قبيلتين او اكثر (ابن قتيبة، ١٩٦٩، صفحة ٩٢) .

ولما كانت هذه القاعدة التي تحكم الحياة الاجتماعية والسياسية لقبائل الجزيرة العربية. فقبيلة ثقيف لم تشذ عن هذه القاعدة فلقد تعاون بنو ثقيف وبنو عامر بن صعصعة بحكم اشتراكهم في الانتماء الى قيس عيلان ضد بني عدوان (بنو عدوان : قبيلة عدنانية والنسب اليه العدواني من قبائل الحجاز يسكنون الطائف . ينظر (علي، ٢٠٠١م ، صفحة ج٥/ ٩٩) حتى اجلوهم عن مدينة الطائف . ثم نشب التنافس والصراع بين ثقيف وبني عامر (بنو عامر بن صعصعة مجموعة كبرى من البائل العدنانية من قبيلة هوازن القيسية المضرية . حتى تمكنت ثقيف ثقيف قبيلة عربية تقع منذ ما قبل الإسلام والى اليوم في مدينة الطائف وما هو لها غرب شبه الجزيرة العربية وهي إحدى قبائل قيس بن غيلان . ينظر (الطبري، ١٩٦٢، صفحة ج١/ ١٧) من ابعاد بني عامر عن مدينة الطائف والانفراد بالسيادة عليها. ثم قامت ببناء حصن متين حول مدينتهم لحمايتها من هجمات البدو (ابن قتيبة، ١٩٦٩، الصفحات ٩١ – ٩٢) .

غير ان هذه الوحدة لم تدم طويلاً لبني ثقيف اذ ترتب على توسع القبيلة الى بطون واسر وعشائر جديدة، ظهور عوامل جديدة للمنافسة والخلاف أهمها تضارب المصالح الاقتصادية والسياسية ورغبة كل جانب من بسط نفوذه وسلطانه على الجانب الاخر وفرض هيمنته على عموم المدينة (الطبري، ١٩٦٢، صفحة ج٢ / ٢٥٢) . ونشأ على هذا التنافس ان تحالف بنو غاضرة بن حطيط مع بني عوف فسموا بالاحلاف وانشأ بنو مالك وبطونهم بنو حبيب وبنو اليسار حلفاً عرف ببني مالك وهكذا انقسمت ثقيف كتلتين متنافستين ومتصارعتين داخل القبيلة الام ثقيف . ثم عمد الاحلاف الى إقامة علاقات اجتماعية مع قريش ومع بني امية خاصة الذين كانوا قد تزعموا قيادة القوافل التجارية حينذاك . وكانت قريش من جانبها تواقة الى تحقيق مثل تلك العلاقات الاجتماعية وهي الكفيلة بزيادة الضغوط الاقتصادية على عموم رجال الملأ من ثقيف (الحميدي، ١٩٧٥، الصفحات ٣٧٩ – ٣٨٠) .

ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرى في تدهور العلاقات الاجتماعية داخل قبيلة ثقيف وانقسامها على نفسها شطرين ، وكل شطر قد تحالف مع طرف خارجي ادرك عمق الهوة التي بين أبناء القبيلة الواحدة ولو حاول العمل على الدخول كطرف محايد يعمل على توحيد الصفوف ورأب الصدع ، من خلال عرض دعوته عليهم ودخولهم الإسلام والدفاع عن وحدتهم من خلاله. ثم جعل مدينتهم قاعدة للانطلاق نحو توحيد الجزيرة العربية وإزالة الوثنية عنها ، لا سيما تعد ثقيف من القبائل العربية المهمة في الجزيرة بما تمتلكه من رجال ومال وموارد اقتصادية وصناعية هائلة وموقع جغرافي متميز ، فالطائف من وجهة نظر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يمكن ان تحقق له الدائرة الثانية للدولة ، لذا كان اختياره لها عليه الصلاة والسلام (الحميدي، ١٩٧٥، صفحة ٣٨١) .

غير ان العامل السياسي يمكن ان يعد من ابرز العوامل لقد اثرت العوامل الاجتماعية سلبا على الوحدة الداخلية للقبيلة بالتالي عجزت عن المحافظة على وحدتها الداخلية، وقد انعكس هذا الوضع على أوضاعها السياسية ، فمن المعلوم ان قس بن منبه (ثقيف) الجد الأعلى لهذه القبيلة كان قد ولد له ثلاثة أبناء دارس وعوف وجشم وقد دخل أولاد دارس في الازد فاندمجوا ضمن قبائل اليمن، وعوف وقد اطلق على أولاده ومن تحالف معم من غاضرة احد بطون جشم (الاحلاف) ، وجشم قد ولد له ابن اسماه حطيطاً ولدان غاضرة ومالك (ابن الاثير، ١٩٦٥، صفحة ٦٨٥) . ان هذه الانقسامات والتحالفات شكلت وضعاً سياسياً غريباً في الطائف وكان من نتيجة هذا التنافس ما بين فرعي ثقيف ان أصبحت الكفة لصالح الاحلاف الذين نجحوا تماماً في إقامة تعاون متميز مع رجال الملأ من قريش وعلى كافة المستويات ومن اجل تفعل هذا التعاون عمدوا الى إقامة علاقات مصاهرة مع اهم عشيرة في قريش وهم بنو امية بن عبد شمس فقد تزوج مالك بن كعب الثقفي من سبيعة بنت عبد شمس (سبيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والمطلب عمها وهي من عمات النبي (صلى الله عليه وسلم) شاعرة كانت يوم وقعة بدر مع المشركين من قريش . ينظر (بشيريموت، ٣٥٢هـ / ١٩٣٤م، صفحة ١١٤) : بشيريموت (ت١٣٢٤هـ) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ط١ (بيروت ٣٥٢هـ/١٩٣٤م) ، ص١١٤ .، وأبو مرة بن متعب تزوج ميمونة بنت أبي سفيان (وهي بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية بن أمية أمها لبابة بنت أبي العاص بن أمية تزوجها عروة بن مسعود الثقفي . ينظر (ابن هشام، د.ت، صفحة ج٤/ ٩٢١) ، وحبيب بن عمرو تزوج من كنود بنت عبد امية بن عبد شمس ، وأبو الصلت بن أبي خلف تزوج من رقية بنت عبد شمس وعروة ب مسعود الثقفي تزوج من أمنة بنت ابي سفيان وبشر بن همان تزوج من ريحانة بنت ابي العاص بن امية (ابن حزم، ١٩٩٤، صفحة ٢٦٦) ، اما بنو مالك فقد قنعوا بالعيش شرقي مدينة الطائف وسمحوا للأحلاف بالسيطرة على عموم المينة وما حولها(ابن الاثير ، ١٩٦٥ ، ص ٦٨٦) .

احداث هجرة الرسول الى الطائف :

لكي يحقق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هدفه في نشر دعوت خارج مكة ، اتجه الى الطائف وبصحبته مولاه زيد بن حارثة (ابن القيم الجوزية، ١٩٢٨، صفحة ٤٧) . ومن المؤكد ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد اعد خطة لتحركاته في الطائف . فأول عمل قام بتنفيذه هو اللقاء بعدد من الرجال المتنفذين من أهل الطائف ، اذ ذكرت المصادر التاريخية " فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع احداً من اشرافهم إلا جاء وكلمه " (ابن القيم الجوزية، ١٩٢٨، صفحة ٤٨) . ودعاه الى الإسلام والتخلي عن الوثنية ورموزها ، ثم يشرح له أسباب هجرته الى الطائف وأهلها رجاء ان يؤوه وينصروه على قومه ويمنعونه منهم (ابن هشام، د.ت، صفحة ٢٩) . فحاول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التركيز على الجناح القوي في الطائف وهم الاحلاف لذا كان تركيزه على أبناء عمرو بن عمير بن عوف بن تعد بن غيره بن عوف بن ثقيف (ابن هشام، د.ت، صفحة ٢٨) . وعندما جلس اليهم وكلمهم بما جاء به ، كان ردهم ابشع في كفرهم وعنادهم من رجال الملأ من قريش وحتما ان اخباره لم تكن خافية عليهم ، فلقد ود في دعوته على الرغم مما قدمه لهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من أنها لصالح دنياهم وآخرتهم رأوا فيها تهديداً خطيراً لمصالحهم ومكانتهم في الطائف ورفضوا تسوية الامر معه سرياً فعمدوا الى التشهير به" فقالوا له أخرج من بلدنا وأغروا به سفاءهم فوقفوا له سماطين وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه (ابن هشام، د.ت، صفحة ٢٩) ، وألجأوه إلى حائط (البستان وهو الجدار الذي يحوط المكان ، وأصل الكلمة من الإحاطة وهي الأحداق بالشيء ومن سمي الجدار حائط لأنه يحيط بما فيه. ينظر (منظور ا.، ١٩٥٦، صفحة ج٧/ ٢٧٩) لشيبة من أبناء ربيعة وهناك دعا دعائه المشهور" اللهم اليك اشكو ضعف قوتي.. حتى رضى ولا حول ولا قوة إلا بك" ثم انصرف عائداً إلى مكة ولم يدخلها الا بجوار المطعم بن عدي أحد رجال الملأ في مكة (ابن هشام، د.ت، صفحة ٣٢) .

النتائج التي تمخضت عنها الهجرة الى الطائف :

من ابرز النتائج التي تمخضت عن هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الطائف هي دخول الطائف في صف مكة ضد الرسول إضافة الى ذلك عدم تحقيق أي نجاح مع اهل الطائف ، الا ان الرسول لم يشاء ان تؤثر عليه تلك النتائج السلبية ، فهو منذ دخوله مكة لم يتهاون ولم يركن الى الهدوء عملاً بقوله تعالى " ولتنذر ام القرى ومن حولها" وعلى الرغم من تطور الاحداث في مكة لغير صالحه ، وعلى الأخص رفع الحماية العشائرية عنه ، وان صفته في مكة أصبحت بصفة حليف، واصبح شخصه الكريم معرض للأذى من أراذل أهل مكة (النعيمي، ١٩٩٦، صفحة ١٥٦) وعلى الرغم من الحصار الذي فرضته قريش على تحركاته داخل مكة شكوا فرقاً من رجالهم لمراقبته والحيلولة دون لقائه بأي زائر لمكة سواء كان حاجاً أو معتمراً ومن هذه الفرق المستهزئين(ابن

هشام ،د.ت، ص١٥-١٦)، ﴿ يج يح يخ ﴾ (الحجر، الآية : ٩٥) . والمقتسمين الذين تعهدوا بصد من يحضر من الاعراب الموسم على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كما انزلنا على المقتسمين ﴿ لخ لم لى لي مج ﴾ (الحجر، الآية : ٩٥) ، استمر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في نشر دعوته بين القادمين الى مكة. ولقد أورد ان إسحاق نجاح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تحقيق عدة لقاءات مع الزائرين لمكة حجاجاً كانوا او معتمرين فيقول :" ثم قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة وقومه اشد ما كانوا من خلافه. وفراق دينه. فكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرض نفسه في المواسم. اذ كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم انه نبي مرسل ويسألهم ان يصدقوه ويمنعوه (ابن هشام، د.ت، الصفحات ٣٢ – ٣٣) . ويقف على منازلهم ويناديهم ويقول " يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد" فأتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله عز وجل وعرض نفسه عليهم فأبوا عليه وكان عمه أبو لهب يقف خلفه فإذا خرج من قوله وما دعا اليه قال :" يا بني فلان ان هذا إنما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم وحلفاءكم من الجن ... فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه (ابن هشام، د.ت، صفحة ٢٨) .

الخاتمة :

في نهاية هذا البحث توصلنا لعدة استنتاجات وتوصيات يمكن اجمالها بالاتي:

اهم الاستنتاجات :

- ظهر أن رحلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف كانت جزءًا من تخطيط دقيق ومدروس لنشر الدعوة الإسلامية، ولم تكن قراراً عفويًا أو ارتجاليًا.
- يبين البحث أن الرسول واجه تحديات كبيرة خلال رحلته إلى الطائف، مما يبرز صبره وإصراره على نشر رسالته رغم الصعوبات.
- يؤكد البحث على الحكمة والتدبر في قرارات الرسول، وكيف أن كل حركة كانت مستندة إلى استراتيجية محكمة وتوجيهات دعوية.
- يظهر أن الرسول سعى للتعاون مع القبائل الأخرى ، مما يعكس استراتيجية الدعوة الإسلامية في التواصل مع مختلف المجتمعات.
- يبرز البحث التضحية والنضال الذي قام به الرسول من أجل نشر رسالته وتوجيه الناس نحو الحق، رغم مواجهة المعارضة والمصاعب.

التوصيات :

١. يجب على المسلمين والدعاة أن يأخذوا دروسًا من تخطيط الرسول (صلى الله عليه وسلم) في نشر الدعوة، وأن يكونوا مدروسين وحكماء في اتخاذ قراراتهم الدعوية.
٢. يجب على الدعاة والمسلمين أن يتحلوا بالصبر والاستمرار في مواجهة التحديات والصعوبات التي قد تواجههم في سبيل نشر الدعوة الإسلامية.
٣. ينبغي على المسلمين أن يسعوا إلى تعزيز التواصل والتعاون مع مختلف القبائل والمجتمعات، وذلك من أجل نشر رسالة الإسلام وتوجيه الناس نحو الحق.
٤. يجب على الدعاة أن يتمسكوا بالحكمة والتدبر في أفعالهم وقراراتهم الدعوية، وأن يكونوا على دراية بالسياقات التاريخية والثقافية التي ينشطون فيها.
٥. يجب تشجيع المسلمين على النضال من أجل الحق والعدالة، وعلى الوقوف بثبات أمام المعارضة والظلم، كما فعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

١. ابن القيم الجوزية. (١٩٢٨). *زاد المعاد في هدى خير العباد* (المجلد ط١). (تحقيق : حسن محمد المسعودي، المحرر) مصر: د.م.
٢. ابن حزم. (١٩٩٤). *الجمهرة*. بيروت: د.م.
٣. ابو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور. (١٩٥٦). *لسان العرب* (المجلد د.ط). (تصنيف : يوسف الخياط، المحرر) بيروت: د.م.
٤. أبو عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. (١٩٦٩). *المعارف* (المجلد ط٢). (تحقيق : ثروت عكاشة، المحرر) مصر: د.م.
٥. ابو عبد الله محمد ابن اسحاق. (١٩٩٧). *السير والمغازي* (المجلد د.ط). (تحقيق : سهيل زكار، المحرر) بيروت: دار الفكر.

٦. أبو عبيد القاسم ابن سلام. (١٩٩١). *الاموال* (المجلد د.ط). مصر: د.م.
٧. ابو محمد عبد الله بن عبد الملك ابن ابن هشام. (د.ت). *السيرة النبوية*. (تحقيق : محمد محي الدين، المحرر) بيروت: د.ط.
٨. أحمد بن يحيى البلاذري. (د.ت). *فتوح البلدان* (المجلد د.ط). مصر: د.م.
٩. الحسن بن محمد النيسابوري. (١٩٣٧). *التفسير* (المجلد د.ط). مصر: د.م.
١٠. بشيريموت. (٣٥٢هـ / ١٩٣٤م). *(ت١٣٢٤هـ) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام* . بيروت .
١١. جمال الدين بن مكرم بن علي ابو الفضل ابن منظور. (١٩٥٦). *لسان العرب* (المجلد د.ط). (تصنيف : يوسف الخياط، المحرر) بيروت: ادم.
١٢. جواد علي. (٢٠٠١م). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* . بيروت : دار الساقي.
١٣. خليل عماد الدين. (١٩٩٧). *دراسة في السيرة* (المجلد ط١). بيروت: د.م.
١٤. خير الدين الزركلي. (٢٠٠٢). *الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين* . بيروت: دار العلم للملايين.
١٥. رياض هاشم النعيمي. (١٩٩٦). *بنو مخزوم ودورهم السياسي والحضاري*. الموصل: رسالة دكتوراه ، الآداب .
١٦. شمش الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . (١٩٨٥). *سير اعلام النبلاء*. القاهرة: مؤسسة الرسالة.
١٧. شهاب الدين الرومي البغدادي ياقوت الحموي. (١٩٩٩). *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر.
١٨. صالح أحمد العلي. (١٩٨١). *محاضرات في تاريخ العرب*. الموصل: د.م.
١٩. عبد الجبار منسي العبيدي. (١٩٨٣). *الطائف ودور قبيلة ثقيف في عصر الجاهلي* (المجلد د.ط). الرياض: د.م.
٢٠. عز الدين ابن الاثير. (١٩٦٥). *الكامل في التاريخ* (المجلد د.ط). بيروت: د.م.
٢١. عماد الدين اسماعيل ابن كثير. (د.ت). *تفسير ابن كثير* (المجلد د.ط). د.م: د.ن.
٢٢. محب الدين بن محمد الزبيدي. (١٩٦٦). *تاج العروس*. (تحقيق : عبد الكريم الغرباوي، المحرر) بيروت: د.م.
٢٣. محمد ابن حبيب. (١٩٦٤). *في اخبار قريش* (المجلد ط١). الهند: د.م.
٢٤. محمد بن منعم الحميدي. (١٩٧٥). *الروض المعطار في خبر الاقطار* (المجلد د.ط). بيروت: د.ن.

٢٥. محمدبن جرير الطبري. (١٩٦٢). *تاريخ الرسل والملوك* (المجلد د.ط). (تحقيق : ابو الفضل ابراهيم، المحرر) بيروت: د.م.

٢٦. محمود محمد حمو. (بلا تاريخ). *مكة المكرمة تاريخ ومعالم* (المجلد ط٥).

٢٧. نادية حسن صقر. (١٩٨١). *الطائف في العصر الجاهلي وصدر الاسلام* (المجلد د.ط). جدة: د.ن.

٢٨. هاشم يحيى الملاح. (١٩٩١). *الوسيط في السيرة النبوية* (المجلد ط١). الموصل: د.م.